دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، ربیع ۱۳۹۶، العدد الثالث والثلاثون: صص **۷۹ـ ۹۰**

انعکاس القرآن الکریم والشخصیات القرآنیة فی شعر فلسطین المعاصر

آشور قلیچ پاسه*
مسعود باوان پوری**
نرگس لرستانی***
حدیثه متولی****

تاریخ الوصول: ۹۵/۹/۲۴
تاریخ القبول: ۹۶/۱/۱۹

الملخص

یکون نمط وأسلوب شعر المقاومة وإطاره اعتقادیا وثقافیا ووطنیا یبعث علی أن یستفید الشاعر من الدین والقضایا المتعلقة به فی هذا الصنف من الأدب. إن الدراسات التناصیة تعد من إحدی المطالعات المتعلقة بدراسة النصوص الدینیة. مما لا شک فیه إن کل أدیب مسلم یحظی بالأبعاد والجوانب الدینیة القویة فإنه لقد تأثر من الکتب الدینیة وقد قام باستعمالها فی کتاباته. لقد تأثر الشعراء الفلسطینیون من نص القرآن الکریم عبر التعرف علیه فی أشعار مقاومتهم. وتمثلت ظاهرة التناص فی أقوال الشعراء الکبار غیر المعروفین فی صور عدیدة. یسعی هذا المقال عبراستخدام المنهج التوصیفی- التحلیلی ومع مطالعة دواوین الشعراء الفلسطینیین المعاصرین(منذ ۱۹۸۰م) فی أن یقوم بالتبیین والدراسة لتأثرهم من مصدر غنی کالقرآن الکریم ونوعیة الاستفادة من هذا المصدر غیر المحدود الذی لا ینضب وأیضا التمتع بالشخصیات الإسلامیة.

الکلمات الدلیلیة: التناص، القرآن الکریم، الشخصیات الإسلامیة، شعر المقاومة، الشعراء الفلسطینیون.

* عضو هیئة التدریس فی قسم اللّغة العربیة وآدابها بجامعة زابل، زابل، ایران(أستاذ مساعد).
ashor_paseh@uoz.ac.ir
** طالب الدکتوراه فی فرع اللّغة العربیة وآدابها بجامعة شهید مدنی بآذربیجان. masoudbavanpouri@yahoo.com
*** طالبة الدکتوراه فی فرع اللّغة العربیة وآدابها بجامعة الآزاد الإسلامیة فرع گرمسار، گرمسار، ایران.
**** طالبة الدکتوراه فی فرع اللّغة العربیة وآدابها بجامعة الآزاد الإسلامیة فرع گرمسار، گرمسار، ایران.
الکاتب المسؤول: آشور قلیچ پاسه ashor_paseh@uoz.ac.ir

المقدمة

لقد تجلى الأدب العربى بأجمل صورة على أضواء القرآن الكريم وصار كآداب أكثر ساطعة ولامعة بين آداب الأمم المختلفة فى أرجاء العالم، ومنذ القدم لقد اهتم الأدباء والشعراء إلى الآيات القرآنية فى نتاجاتهم وأعمالهم الشعرية مستمتعين بها. بما أن القرآن الكريم لقد اعتبر مصداقا للفصاحة والبلاغة عند العرب فإن الشعراء والمؤلفون والكتاب لقد سعوا بأن يظهروا قدراتهم فى استخدام الألفاظ والمفاهيم للقرآن الكريم عبر الاستفادة من كلماته الساحرة ومعانيه العليا وكذلک عبر الاستشهاد بها أن يزدادوا فى تأثير كلامهم وفى ظل القدسية والاحترام لكلام البارى والتعالى أن يقوموا بتصعيد حلاوة أفكارهم ورؤاهم أكثر بكثير من قبل؛ ومن ثم أن يعتبروا فى عداد الذين يقدمون أفكارا أكثر تجليلا واستساغة للجميع. عبر نظرة عابرة إلى النتاجات المتعلقة بكبار الآداب والأشعار فمن البديهى بأنه يرتكز الكثير من العبارات والتعابير والإشارات والاستدلالات والبراهين لهم على اقتباسهم أو استلهامهم من هذا الكتاب المبين أو أحاديث الأئمة المعصومين(عليهم السلام).

يعد القرآن الكريم الكتاب الدينى ورسالة العقيدة والتصديق لجميع مسلمى العالم. ينظر القرآن الشريف كون وصفه كتاب حكمة وهداية وإرشاد إلى حالة التسامى وعلو الدرجات لجميع الأوادم من الأرض حتى إلى القبة السماوية، وأنه تم تنزيله من قبل سبحانه وتعالى أساسا بأن يوصلهم من أرض الشهوات والأميال الحيوانية الدنية إلى ذروة السماء والأسفار العلوية والسماوية. كتاب عبر مضى ألف وأربعمائة سنة من نزوله لقد مزج وتعجن معهم وكأنه قد اختلط مع عروقهم وجلودهم ودمائهم.

لذلک فإن القراءة، درک المضامين والتعليم لهذا الكتاب العظيم يكون بمثابة حياتنا من جديد مع القرآن الكريم. مازالت الآيات والمفاهيم القرآنية تعتبر كون وصفها أداة ووسيلة فنية ومصدرا واستلهاما للشعراء طوال التأريخ. وعبر نظرة خاطفة إلى نتاج الأدباء والشعراء خاصة المسلمين منهم؛ فمن المعلوم أن العديد من العبارات والتعابير والإشارات والبراهين لهم لقد استوحت من القرآن الكريم بصفة الكتاب المبين(باوان‌پورى وريكاطرهانى، ١٣٩١: ٢).

سابقية البحث

عبر المراجعة إلى المقالات والمجلات المرتبطة بنطاق الأدب العربی فيمكن أن نحصل على هذه النتيجة أنه لقد تم تحرير مقالات قيمة كثيرة بشكل عام حول آثار القرآن الكريم والتناص فی أشعار مختلف الشعراء كـ«اشكال التناص الدينی فی شعر خليل الحاوی»(۱۳۹۰)، *لعلی نجفی ايوكی وفاطمه يگانه*، مجلة دراسات فی اللغة العربية وآدابها. و«التناص الدينی فی أدب المرأة الكويتية(شعر سعا الصباح نموذجا)»(۱۳۸۹)، *لفاطمه ذوالقدر*، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها. و«التناص القرآنی فی رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ»(۱۴۳۱ق)، *لخليل پروينی ونعيم عموری*، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. و«بينامتنی اشعار عبدالوهاب البياتی با قرآن كريم»(۱۳۹۰)، *لطيبه سيفی*، فی مجلة دو فصلنامه تخصصی پژوهشهای ميان رشتهای قرآن كريم. و«روابط بينامتنی دينی در قصيده(ثورة فی الجحيم) جميل صدقی زهاوی»(۱۳۹۰)، به قلم *حسين كيانی* و *فاطمه علی‌نژاد چمازكتی*، مجلة انجمن ايرانی زبان و ادبيات عربی. ولكن حتی الآن لم يلاحظ أی مقال تناول موضوع دراسة التناص القرآنی فی شعر فلسطين المعاصر.

استخدام التناص القرآنی و الشخصيات الإسلامية

تتألف غالبية نفوس المجتمع الفلسطينی من المسلمين. بناء على هذا الأمر فيلاحظ تأثر الشعراء والأدباء الفلسطينيين من الآيات القرآنية فی استلهامهم من التوجيهات والإرشادات والأفكار الإسلامية بشكل وافر.

لقد تأثر الشاعر الفلسطينی *توفيق الحكيم* بهذه الآية القرآنية: ﴿انَّ الّذين كذّبوا بآياتنا وَاستكبروا عنها لا تفتَّح لهم ابوابُ السَّماءِ وَلا يَدخلونَ الجنَّة حتی يلج الجملُ فی سَمِ الخياط وكذلك نَجزِی المُجرمينَ﴾(الأعراف/ ۴۰) عندما يتحدث عن عجز إسرائيل فی حرف طريقة الإنسان الفلسطينی المقاوم والصامد.

«أهون ألف مرة
أن تدخلوا الفيل بثقب إبرة
أن تطفئوا الشمس، وأن ...

تحبسوا الرياح
من أن تمتيوا باضطهادكم
وميض فكرة
وتحرفونا عن طريقنا الذى اخترناه
قيد شعره»

(زياد، لا تا: ٢٧)

يقتبس محمود درويش من الآيات القرآنية للتعبير عن المكانة والمنزلة للفدائى.

﴿اِقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذی خلق. خَلَقَ الانسانَ مِن عَلَقٍ. اِقرَأ وَ رَبُّکَ الاَکرَم﴾(علق/ ٣ ـ ١)

«الله اكبر
هذه آياتنا، فأقرأ
باسم الفدائى الذى خلقا
من جرحه شفقا»

(درويش، ١٩٩٤، ج ٢: ١٩)

لقد تحدث *أحمد دحبور* فى شعره من الأيتام ومعاناتهم عن الجوع مشيرا إلى طرق وأساليب الصهاينة فى ممارسة صنوف القتل بحق الفلسطينيين، حينما يفقخ الإسرائيليون تحت الأحجار قنابل ما ويقومون بتدمير منازل وأمكنة وطرق يعتبرها الفلسطينيون كملاجئ لأنفسهم. إذن يعد الشاعر الناس بإتيان *المهدى(عج)* شاهرا سيفه والذى يقوم بإزالة صفحات الظلم والجور والضغوط منهم ولقد استمتع بالآيات القرآنية فى تبيين هذه الشؤون المذكورة.

﴿جَزاؤهُم عِندَ ربّهِم جنّاتُ عَدنٍ تَجری مِن تَحتَها الانهارُ خالدینَ فیها اَبَدًا رضی اللهَ عَنهُم وَ رَضوا عنهُ ذلکَ لِمن خَشی رَبَّهُ﴾(بینه/ ٨)

«سيخلفنا المهدى بالسيف
العالم أسرة أيتام تتضور
وفلسطين فى هذا العام
جنات تجرى تحت حجارتها الألغام»

(دحبور، ١٩٨٣: ٢٠٥)

لا يزال يطوی *فدوی طوقان* الشاعر والمناضل الفلسطينی الذی لا يكل، حياة مرة فی ظل وجود أعدائه الصهاينة ويختار ألفاظا قرآنية مثل «زقوم» و «سقر» للتعبير عن البديل والاستبدال لموطن الأنبياء(عليهم السلام) وموطن الزيت والعسل بموطن العذاب والمرارة والظلم والجور.

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ﴾(واقعه/۵۲)

﴿سَأُصليهِ سَقَرَ ۝ وَما أَدراكَ ما سَقَرُ﴾(مدثر/۲۷ ـ ۲۶)

«آهيا حبی الغريب
آهيا حبی لماذا
وطنی أصبح باباً لسقر؟
ولماذا شجراً لتفاح صار اليوم زقوما»

(طوقان، ۱۹۹۳: ۴۱۲)

إنه لقد استلهم فی قصيدته الأخری تحت عنوان «آهات أمام شباک التصاريح» لقد استلهم من اللفظة القرآنية «غسلين»:

﴿ولا طعامٌ إلا من غسلين﴾(حاقه/ ۶)

«آهيا حقدی الرهيب المستشار
قتلوا الحب بأعماقی، أحالوا
فی عروقی الدم غسلیناً والقار»

(ن.م: ۴۰۹)

الشاعر الآخر معين *بسيسو* يشير فی القصيدة «القمر ذو الوجوه السبعة» إلی شعراء منافقين يتوسلون براية *الإمام الحسين(ع)*، وحينما تبدأ الحرب يقومون بمدح قتلة *الإمام الحسين(ع)* عبر قصائدهم المزخرفة والمنقوشة علی السيوف. يهجو *بسيسو* فی هذا الشعر شعراء يبيعون ذواتهم، والذين يعتبرون أشعارهم وسيلة وأداة لاغتنام الفرص والخيانة مما يكون هذا الأمر بمثابة وصمة عار يندی جبين الإنسانية والأخلاق منها.

«تموت فی الخريف مرة
وفی الربيع مرتين
يستقيظ الشتاء فی عضونها

ويأكل اليدين
رأيته فی کربلاء
تحت راية الحسين
صهيل سيفه مع الحسين
وفوق سيفه قصيدة منقوشة
فی مدح قاتل الحسين»

(بسيسو، ١٩٨٧: ٤٠٤)

يتم ذكر اسم مدينة كربلاء وشخصية *الإمام الحسين(ع)* فی قصيدة «شهداء الحب» من الشاعر *سميح القاسم*. إنه يقوم بخلق شخصيته(ع) من جديد حتی يبين بأنه يكون بطلا تاريخيا قاوم وصامد أمام الظلم والجور والباطل، وأخذ علی عاتقه الصراع الإنسانی وحده واستشهد حتی يبقی حيا حتی يعيد العدالة والخلق الإنسانية. إن الشاعر يحظی بمكانة أحد انزعج واستاء من ظلم أقرباءه وقومه أكثر مما رأی من ظلم وجور الغرباء والأجنبيين وهو يعتقد أن ظلم وجور الرومان لا تؤذيه فی الحروب الصليبية بل يجعله أكثر قوة فی مقطع ما:

«فی عقر دارک جزّ الروم ناصيتی
وجاوزت خيلهم أبواب حطين
لكن ظلم ذوی القربی أشد علی
روحی الجريحة من ظلم يقاوينی
ما كربلاء! وفی بغداد نازفة
دماء شعبی من حين إلی حين
يا دجلة الخير، فاجرف كل شائبة
واسق المحبين، واغسل إفک مأفون»

(قاسم، ١٩٨٧: ٣٩٣)

لقد تحدث *عزالدين المناصرة* فی القصيدة «المقهی الرمادی» من الحزن والغم وغربته، وبالتالی يلوذ *بالإمام الحسين(ع)* حتی يهدء ذاته وربما يكون قصد الشاعر من «نحن جيران الحسين» هو غربة الشعب الفلسيطينی ومظلوميتهم وحقوقهم المسلوبة:

«اول الليل أجرّ الخطو ... لا تدرين أين
نحو مقهى أشرب الأحزان من جدرانه
قرب الحسين
ثم أدعو للحسين
بالرضا عن رأسه ... والراحتين
نحن جيران الحسين
نشرب الخمر إذاما
ساعة القلب تجيء
ونصلی ساعة للعشق، نفنی فی الحسين»

(مناصرة، ۱۹۹۰: ۲۶۰)

تكون شخصية *أبوذر الغفاری* الصحابی البارز للنبی الأكرم(ص) فی القصيدة «من أوراق أبی ذر الغفاری» رمزا معروف الإنسان متدين وعابد وتقی وزاهد ترک الرفاهية والرخاء والسرور جانبا، ويعالج وضع الفقراء والمساكين والبؤساء والذی يجاهد فی استرجاع حقوقهم المغصوبة والمهضومة من الأثرياء الظلمة والمرفهين؛ وكذلک تعتبر شخصيته رمزا لشخص منفی من وطنه وبائس ومؤلم وغريب حتی يشير إلی وحشيتهم وحرصهم وطمعهم. لأنهم(الصهاينة) سلبوا من كد أيادی الكادحين أی شیء وقاموا بتقسيمه بينهم وقد جعلوا حياة الفلسطينيين مصحوبة بالتشريد والقحط والجفاف والمرارة. يكون المهاجرون رمزا للمتشردين والأنصار رمزا للعرب الذين التجأ المتشرودن إليهم وأن *بلالا* يكون رمزا للذين ينادون بالإيمان والعدالة والوحدة والاتحاد.

«يا أيها الذئاب
قسمتم الأسلاب
ظلمها جرين حفتة من الزقوم
جرعة من الغسلين للأنصار
بلال لم يزل مؤذنا
فی ثقب إبرة بلال»

(بسيسو، ۱۹۸۷: ۲۶۰)

ثم يستعمل الشاعر شخصية *أبوذر الغفارى* كقناع للتعبير عن وجهة نظره الشعرية وأنه مازال يبين وجهة نظره البرهانية على لسان *أبى ذر الغفارى* الهزلى(الهاجى).

«لمن ثمار هذه السيوف
وساقت الرياح والرماح للخليفة القعيد
ألف مركب وهودج من الذهب
وصار للولاة ألف قينة
وألف قصر
وألف بئر خمر
وألف فم»

(ن.م: ٢٦١)

تعتبر شخصية *يوسف(ع)* فى الشعر الفلسطينى رمزا للإنسان الغريب البرىء من الآثام والأخطاء والطاهر النقى الذى يخونه إخوته بغضا وحسدا ومكرا.

يتناول *بسيسو* فى القصيدة «العندليب فى البئر» قصة *يوسف(ع)* ثم يشبه نفسه إلى *يوسف(ع)* والذى لقد تورط فى بئر خيانة الإخوة العرب، ولا يجد أحدا أن يطلق سراحه وبالتالى يقوم بالتعبير عن غربته ويأسه.

«لم يزل يوسف فى البئر ومن
آه قد ألقى له الحبل هلک»

(ن.م: ٢٣٧)

تحتل قصة *نوح(ع)* وطوفانه مكانة خاصة فى الأشعار الفلسطينية وفى ذاتها تعتبر رمزا للتحرر بعد الظلم والجور الكثير. يستغيث *محمود درويش* من *نوح(ع)* أن ينقذ الشعب الفلسطينى دون رحلتهم من أرضهم، وكذلک دون ركوبهم السفينة التى تعتبر اليوم وسيلة للنجاة والإنقاذ. يأمل الشاعر أن يحيى الشعب الفلسطينى عبر الموت فى أرضهم ونشورهم منها فى يوم القيامة.

«يا نوح
لا ترحل بنا
إن الممات هنا سلامة

إنا جذور لا تعيش بغير أرض
ولتكن أرضی قيامه»

(درويش،۱۹۹۴، ج۱: ۱۱۱)

لقد استفاد معين بسيسو من قصة *يونس(ع)* فی القرآن الكريم بحيث لقد قام بذكر حدّة غربته ووحدته، ويبحث عن سمكة أن تحميه مثل *يونس(ع)* فی بحر المشاكل وصعوباته.

﴿فَالتَقَمَهُ الحوتُ وَهُوَ مُليمٌ﴾(صافات/ ۱۴۲)

«الحوت
خبأيونس وحماه
الحوت حمی يونس
لكنا نبحث فی هذا الوطن الواسع
فی هذا البحر الواسع
نبحث عن حوت»

(بسيسو، ۱۹۸۷: ۴۳۶)

يعتبر *هابيل* و*قابيل* من جملة شخصيات قرآنية أخری لقد استفاد منهما الشاعر الفلسطينی كرمز ما. يقوم *فدوی طوقان* فی شعره «قابيل الأحمر» بذكر الصهاينة وجيوشهم لأجل حدة ظلمهم وجورهم وإلحاقهم الأضرار إلى الفلسطينيين.

«قابيل الأحمر منتصب فی كل مكان
قابيل يدق على الأبواب
على الشرفات
على الجدران
يتسلق يقفز يزحف ثعباناً ويفح
بألف لسان
قابيل يعربر فی الساحات يلف يدور مع الإعصار، يسد
مسالک
ويشرع أبواباً لمهالک

يحمل فی کفیه غسول الدم
توابیت النیران
قابیل إنه مجنون یحرق روما»

(طوقان، ١٩٩٣: ۴۶٢)

نتیجة البحث

لقد لعب القرآن الکریم منذ القدم ومنذ زمن نزوله دورا ملحوظا فی الشعر والأدب لأنه قد قام بتغیر المفاهیم الشعریة، وأن الشعراء لقد تأثروا من مفاهیمه وألفاظه العلیا عبر تفعیل قدراتهم واستطاعتهم الخاصة بهذا الشأن. کذلک لقد استمتع الشعراء الفلسطینیون بهذا المصدر الأزلی والخالد فی أشعارهم بکثرة ما، وقد استخدموا الآیات القرآنیة فی تبیین الغایة ومرادهم عبر إدخال قلیل من التغیرات فیها. إنهم لقد استمتعوا بشخصیات إسلامیة مثل *هابیل وقابیل*، *نوح*، *یوسف*، *یونس*(علیهم السلام) وأیضا من سیدالشهداء *الإمام الحسین(ع)* بغیة تبیین آلام ومعاناة أممهم فی أشعارهم.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الکریم.

ابن الأثیر، ضیاءالدین. ۱۹۵۹م، **المثل السائر فی أدب الکاتب والشاعر**، تحقیق احمد الحوفی، قاهره: دار النهضة العربیة.

ابن منظور، محمد بن مکرم. ۱۴۱۴ق، **لسان العرب**، ط ۳، بیروت: دار صادر.

انجینو، مارک. ۱۹۸۷م، **فی أصول الخطاب النقدی الجدید**، ترجمه احمد المدینی، بغداد: دار الشؤون الثقافیة العامة.

بسیسو، معین. ۱۹۸۷م، **الأعمال الشعریة الکاملة**، ط ۳، بیروت: دار العودة.

حلبی، شهاب الدین محمود. ۱۹۸۰م، **حسن التوسل إلی صناعة الترسل**، تحقیق اکرم عثمان یوسف، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

دحبور، احمد. ۱۹۹۴م، **الدیوان**، ط ۱۴، بیروت: دار العودة.

درویش، محمد. ۱۹۹۴م، **الدیوان**، ط ۱۴، بیروت: دار العودة.

زیاد، توفیق. لا تا، **الدیوان**، بیروت: دار العودة.

طوقان، فدوی. ۱۹۹۳م، **الأعمال الشعریة الکاملة**، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.

عبدالعاطی، کیوان. ۱۹۹۸م، **التناص القرآنی فی شعر أمل دنقل**، قاهره: مکتبة النهضة العربیة.

الغذامی، عبدالله. ۱۹۸۵م، **الخطیئة والتفکیر**، جدة: النادی الریاضی.

القاسم، سمیح. ۱۹۸۷م، **دیوان**، بیروت: دار العودة.

مرتاض، عبدالملک. ۱۹۹۱م، **فکرة السرقات الأدبیة ونظریة التناص**، جدة: مجلة علاقات النادی الأدبی الثقافی.

مفتاح، محمد. ۱۹۹۷م، **تحلیل الخطاب الشعری؛ استراتیجیة التناص**، بیروت: دار العودة.

مکاریک، ایرناریما. ۱۳۸۵ش، **دانشنامه نظریات ادبی معاصر**، ترجمه مهران نجفی و محمد نبوی، چاپ دوم، تهران: آگه.

المناصره، عزالدین. ۱۹۹۰م، **دیوان**، بیروت: دار العودة.

المقالات

باوان‌پوری، مسعود و بتول ریکاطرهانی. ۱۳۹۱ش، «**تأثیر قرآن کریم در شعر هاتف اصفهانی**»، مجموعه مقالات همایش ملی ادبیات تطبیقی کرمانشاه، دانشگاه رازی.

جابر، ناصر. ۲۰۰۷م، «**التناص القرآنی فی الشعر العمانی الحدیث**»، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد۱۲، شماره ۴.

سیاحی، صادق و فرحان گل مغانی زاده. ۱۳۹۳ش، «**التناص القرآنی فی شعر فدوی طوقان**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، دانشگاه آزاد جیرفت، السنة السادسة، العدد الرابع والعشرون، صص ۴۶- ۲۷.

شاملی، نصرالله و ساجد زارع نجف آبادی و امیر عمرانی سارو. ۱۳۹۱ش، «**التناص القرآنی فی شعر مصطفی صادق الرافعی**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، دانشگاه آزاد جیرفت، السنة الرابعة، العدد ۱۴، صص ۸۰- ۵۵.

مهری نژاد، سیده رقیه. ۱۳۹۰ش، «**فلسطین وتجلیاتها فی شعر فدوی طوقان المقاوم**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، دانشگاه آزاد جیرفت، السنة الثالثة، العدد العاشر، صص ۱۲۴- ۱۱۳.

میرزایی، حسین و سیدابراهیم آرمن. ۱۳۹۰م، «**التناص الأسطوری فی شعر أمل دنقل**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر جیرفت، السنة الثالثة، العدد التاسع، صص ۱۷۱- ۱۵۳.

ویکلی، کریستین. ۱۳۸۴ش، «**وابستگی متون، تعامل متون، ترجمه طاهر آدینه پور**»، پژوهشنامه ادبیات و نوجوان، شماره ۲۸.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی